﴿ اليونان ﴾ في اواسط شهر حزيران قطعت العلائق السياسيّة بين اليونان ورومانيـــة

وقد زار ملك اليونان رومية واستقبلهُ الحبر الاعظم في الڤاتيكان استقبالاً رسميًا. وقد تبودلت بينهُ وملك ايطالية نخب الوداد والصفاء. (ستأتي البقيّة)

قبل الولادة وبعد الموت

ردٌّ ثالث على المقتطف

للاب اطون صالحاني اليسوعي

يظهر ان مسألة النفس تهمّ المقتطف كما تهمّنا وتهمّ كل انسان. وهذا حقّ. فهي مسألة المسائل. لانهُ «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسهُ. أم ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسهِ» (متى ١٦: ٢٦). واذا نفينا وجود النفس فما معنى وما منفعة هذه الحياة الدنيا القصيرة المفعمة اتعاباً واحزاناً وامراضاً ومصائب وشقاء. ولهذا عاد المقتطف مرّة ثالثة الى الخوض في هذه المسألة الخطيرة. فنعود اليها نحن ايضاً لنتعقّب خطواته وننقد مزاعمه

انّ المقتطف مع تظاهره بان مسألة النفس تهمّه لا يبحث عنها ولا يطلبها في مظانّها بل من حيث لا يمكنه ان يعثر على جوهرها ولا ان يعرف حقيقتها. فهو الى نفي النفس الروحيّة اقرب منهُ الى اثباتها. وما غايتهُ الّا انكارها في بحثهِ عنها بالعلوم الطبيعيّة فقط التي لا تستطيع ان تبحث الّا عمّا يقع تحت الحواس. والّا فلماذا لم يصرّح ولا مرّةً واحدة في مقالاتهِ الثلاث بالقول ان النفس وان ثبت وجودها بالبراهين العقليّة لم تتصل الى معرفتها بالعلوم الطبيعيّة. فهذا الكلام الواضح الذي يزيل كل ابهام وكل سوء فهم لم يخطُّهُ قلم المقتطف ولن يخطّهُ لانهُ بالحقيقة لا يسلّم بوجود نفس روحيّة. فيكتفي بتكرار بعض عبارات مبهمة ليموّه على عقول السذّج. وهذا هو اثم علماء عصرنا الماديين فانهم يشتغلون بالعلوم الطبيعيّة نابذين الفلسفة العقليّة فيغرقون في المادة ويختنقون. ولو كان صرّح المقتطف بوجود نفس روحيّة وبثبوت هذه الحقيقة من البراهين

المنطقيّة والفلسفة الحقَّـة ثم اخذ يبحث عنها بالعلوم الطبيعيَّة لما كنَّا آخذناهُ ولما كنَّا تعرَّضنا لهُ لننتصر للحقيقة

ادرج المقتطف في عدده الاخير الصادر في كانون الاول رسالة لاحد المشتركين لم يسمِّهِ هي على جانب عظيم من التمويه حاول فيهـا المراسل ان يبرِّر المقتطف وننسب الينا « سخافة العقـل او التسرّع والمحاولة والمكابرة » (كذا) . افيصدق المراسل اذ يخاطب اصحاب المقتطف قائلًا : « لم تنكروا ما تقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرَّضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات . ولم تشيروا الى ما يقولـهُ الفلاسفة واصحاب الاديان الَّا للفرق بينهُ وبين البحث الطبيعي الذي اشرتم اليـهِ » فاين هذا القول من قول المقتطف « ان الاديان المختلفة تحلّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبنيّ على الحسّ والمشاهدة بل على الالهـام الالهي » . فقولهُ « حدس وتخمين » هو نفي لحقيقةٍ ثابتة مقرَّرة . وقولهُ « علم عالٍ غير مبني على الحسّ والمشاهدة » هو نفي ايضاً للبراهين الفلسفية التي تؤيد وجود النفس ومن ثم هو نفيٌ ايضاً لحقيقـة وجودها . لكونهِ لا يقبل الَّا بما يقرّرهُ العلم المبني على الحسّ والمشاهدة . ومعلوم ان النفس الروحيَّة لا تُعرف بالحسّ . وقولهُ « علم عالٍ مبني على الالهام الالهي » يدل على ان المقتطف لا يعلم ما هو العلم العالي اذ لا يميّزهُ عن الالهام الالهي بل يخلطهُ مع الوحي . وهذا غريب من اصحاب المقتطف . لانهُ لا احد يجهل ان الفلسفة العقليَّة تبحث عن النفس بقطع النظر عن الالهام الالهي او الوحي . وعليهِ فالمقتطف في ما قالهُ لم يتعرض لاثبات الحقيقة لكنَّهُ تعرَّض لنفيها . ومن ثم لم يصدق مراسلهُ لما حاول ان يبرِّر اصحابهُ

ولتوضيحِ ذلك بالمثل الذي اوردهُ مراسل المقتطف اي مثل السارق وهو :

« لنفرض ان زيداً سُرق بيتهُ فاتهم خالداً بسرقتهِ وشكاهُ الى المحكمة وادَّعى انـهُ عرف بالهام الهي ان خالداً هو السارق واقام ادلة كثيرة على ان الله يوحي اليـهِ احياناً . فان المقوَّض بالحكم لا يقبل دعواهُ ولا يحكم على خالد بالسرقة . وكذلك اذا قال زيد انهُ عرف بشعور داخلي في نفسهِ ان خالداً هو السارق وان هذا الشعور الداخلي صحيح وطالما كشف لـهُ الغوامض . فان المقوَّض بالحكم لا يقبـل دعواهُ ولا يحكم بموجبها . ولكن اذا اقام زيد ادلة طبيعيَّة محسوسة على ان خالداً هو السارق وذلك بانـهُ اثبت وجود الامتعة المسروقة في بيت خالد واستشهد اثنين من

الشهود العدول . . . فان المفوّض بالحكم يأخذ بهذه الادلة المحسوسة ويحكم على خالد بالسرقة مع انهُ لم يأخذ بادلة الوحي ولا بادلة الشعور الوجداني لا لان ادلة الوحي غير صحيحة ولا لان ادلة الشعور الوجداني غير صحيحة بل لان القانون يضطرهُ ان يبني حكمهُ على الادلة المحسوسة او المستنتجة من امور محسوسة »

فنجيبهُ لو أنكر المراسل على المفوّض بالحكم ليس فقط الاستناد الى ادلّة الوحي والى أدلّة الشعور الداخلي بل انكر عليهِ ايضاً الاستناد الى الادلة الطبيعيّة المحسوسة التي توصلهُ الى معرفة من هو السارق أفلا يكون منع الوقوف على الحقيقة . فهذا هو عمل المقتطف . فانهُ من جهة لا يقبل بالوحي في البحث عن النفس . (ونحن لم نبحث عنها بالالهام الالهي) . ولا يقبل بالعلم العالي لانهُ لا يقبل بعلم عالٍ غير مبني على الحس والمشاهدة فضلاً عن انهُ يخلطهُ مع الالهام الالهي . ومن جهة اخرى يصرّح بان العلوم الطبيعية لم تتصل الى الآن الى معرفة وجود النفس وماهيتها ومصدرها ومآلها . فماذا أبقى لنا رعاهُ الله سوى نفي وجود النفس بما انهُ لا براهين لديهِ لمعرفتها وينكر علينا البراهين العقليّة التي من شأنها ان توصلنا الى معرفة الحقيقة

فلو انكرنا على المقتطف البحث عن النور بحاسّة البصر واردنا حملهُ على هذا البحث بحاسّة السمع وصرّحنا ان حاسة السمع لم تتصل الى الآن الى معرفة ما هو النور وكيفيّة سيرهِ الخ . أقليس انهُ ينسب الينا الخطأ الفاحش . كذلك نخطئهُ نحن وبكل صواب اذ نراه يحظر البحث عن ماهيّة النفس بعلم ما وراء الطبيعة المميز عن الالهام الالهي والغير المبني على الحسّ والمشاهدة . ويحصر هذا البحث في العلوم الطبيعيّة التي لم تتصل ولن تتصل ابدًا الى معرفة حقيقة النفس . لان العلوم الطبيعيّة لا تتناول الّا ما يُدرَك بالحواس ويستحيل ان تُدرَك النفس بالحواس . فيلقي قرّاءهُ في الشك ويضلّهم

هذا هو خطأ المقتطف اذ يكرّر القول بان تعليم الاديان بخصوص النفس « حدس وتخمين » اي امر غير ثابت ولا مقرّر . وان تعليم الفلسفة الحقيقيّة « غير مبني على الحسّ والمشاهدة » ومن ثم مردود ومرفوض عنده . وان العلوم الطبيعيّة قصّرت الى الآن عن الوصول الى معرفة النفس كما يقرّ هو وكما بيّنّا لهُ في مقالتينا السابقتين . فبقي لقرّائه اذا كانوا من السذّج الغفل أن يستنتجوا عدم وجود النفس الروحيّة . وهذا

هو مراد المقتطف. شأن من يقصد التضليل دون التصريح والمجاهرة . لأن الذي لا يسأم بحقيقة ثابتة ويرفض بدون حق البراهين التي وحدها تمكن من اثباتها فهذا لعمري يتعرّض لنفي الحقيقة. ومن ثم فقد اخطأ عمداً مراسل المقتطف بقوله لاصحابه « لم تنكروا ما يقوله الاديان ولا ما يقوله الفلاسفة ولم تتعرضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات » . وقد خطأهم من حيث قصد المدافعة عنهم

وعليه فجوابنا لم يكن من « سخافة العقل » بشيء كما زعم . ولا جواب « متمحل محاول مكابر » بل جواب الحق والحق يقوى ولا يُقوى عليه

هذا واننا بكل طيبة خاطر نلبّي طلب المقتطف في الجواب على بعض مسائل عرضها علينا

اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امه » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوّن الجنين في بطن امه لا وجود لها البتة بل هي عدم . انما يخلقها الله رأساً حال تكوّن الجنين . نبيّن ذلك بتشبيه قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكره . هذه المادة التي تكوّن منها العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسأله اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلّم بقول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانه يجعل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي . والعجب كل العجب ان الماديين يسأمون بمادة ازلية تكوّن منها العالم ولا يسلّمون بعقل ازلي كلّي الكمال هو الله . ومن ثمّ فلا بدّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انه لم يكن لها وجود قبل ان تُخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس . فانها قبل ان يتكوّن الجنين في بطن امه كانت عدماً اي غير موجودة فلم تكن في محلّ وانما اوجدها الله اي خلقها لتتحد بالجنين حال ابتداء تكوّنه . وعليه فسؤال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امه » هو باطل لا معنى له ولا فائدة إن علم الحقيقة

والبرهان على ان الله يخلق رأساً النفس حال ابتداء تكوّن الجنين هو : لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تتشقّ من نفس الام . وبما انها روحيّة

وعقليَّة فلا يمكن ان توجد بان تُستخرج من المادة . فلم يبقَ الَّا ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

السؤال الثاني : « في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين » . قبل ان نجيب على هذا السؤال نقول ان الكلمة « دخل » التي استعملها المقتطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كانها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالحنطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحاداً جوهرياً فيتكوَّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

فبعد ان قدَّمنا هذه الملاحظة نجيب اوَّلاً : على افتراض انهُ لا يمكننا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعيَّة ان ينفي وجود المادة إن لم يمكنهُ ان يعيّن الوقت الذي فيهِ خُلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس إن لم يمكنهُ ان يعيّن ويحدّد الوقت الذي فيهِ كُوِّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وإن لم يتمكَّن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتمّ تلقيح البويضة . هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطبَّاء . ومن ثم تُميَّز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

السؤال الثالث : « هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها »

الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النموّ في الجسم وكمال الجهاز الحسي والدماغ . لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تُدرك الَّا بالحواس او بعد ان تكون الحواس تمت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرك الماديات . ويشترك الحسّ بهذا الادراك . وتدرك غير الماديات اي تعلمها بشرط ان يرافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيّز العمل . فتكون كالنار الكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلاً لمَّا تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في جنسها . ومع ذلك طالما لم

تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهـذا النمو اللازم يختلف في النبات والاشجار لمختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ . مع ن فيهِ مبادئ قوة التناسل . ومبادئ النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الّا بعد مدّة . فهذه التشابيه تقرّب لنا فهم ما يخصّ قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة فتنبه شيئاً فشيئاً مع نمو الجسم وتهيؤ الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الّا بعد زمن من الولادة . فتدرك بالحواس وتدرك بالعقل بأن تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيَّة التي نشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليَّة المختصة بالانسان

السؤال الرابع : « الى اين تذهب (النفس) بعد الموت »

الجواب : انها تمثل حالًا امام الله الديان الموجود في كل مكان لتؤدي الحساب عمّا عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقول بعض العلماء الذين تشقون بهم واوردتم زعمهم « ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة » . فان هذا متعلّق بمشيئة الله وسلطة القدير العادل . فيضع النفس امّا في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . امّا في جهنم محلّ العذاب الابدي اذا مات الانسان وهو اثيم بخطيَّة مميتة او معصية باهظة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موتهِ بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمن محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلّات او مخالفات عرضيَّة لوصايا الله ولم يفِ عنها قبل الموت . لانهُ « لا يدخلها (السماء) شيء نجس » (رؤيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلًا عن الايمان . لانهُ ليس من العدل الالهي ان الرجل الملطَّخ باشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معزّزًا مكرّمًا متلذذًا غنيًا في دنياه يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشرّ . كما انهُ ليس من العدل الالهي انَّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيرًا ما يكون مجهولًا مظلومًا مبتلًى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما تثمهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

ولا يتخيلنَّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال . فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة .

فنفسك يا هذا هي كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تُقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس به . لكن متى فُقدت الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس . وبما ان النفس هي غير مادية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة الانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها على اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشر اي بالعذاب

وهذه السؤالات التي عُرضت علينا كل من له بعض الالمام بالفلسفة العقلية وهي العلم الحقيقي العالي يمكنهُ ان يجيب عليها . فلا حاجة حسب وعد المقتطف الى تعيين « جائزة عشرين جنيهاً لمن يكتب مقالة في هذا الموضوع تملأ عشر صفحات من المقتطف على الاكثر وتقرّ لجنة من كبار علماء القاهرة على انها وفت بالمطلوب وتستحق الجائزة » . فان اعضاء هذه اللجنة اذا كانوا من الماديين وتشرّبوا مشرب المقتطف لا يحكمون الّا بحكمه . وان كانوا يعلمون معنا تعليم الحق يردّ المقتطف حكمهم كما يردّ حكمنا . فليسأل الله لجنة كبار العلماء والفلاسفة في العالم اجمع يجدهم يحكمون على المقتطف كما حكمنا ويقولون بوجود نفس الانسان وبروحانيتها وبخلقها رأساً من الله وباتحادها مع الجسم الخ . وقد ذكرنا لهُ منهم في مقالتنا الاولى عدداً وافراً يربي على الخمسين . فلماذا لم يذعن لحكم هذه اللجنة وهي اعظم اهمية من كبار علماء القاهرة

وفي ما قلناهُ كفاية لذوي العقل السليم المتجردين عن الاهواء والغايات الراغبين في معرفة الحقيقة . ويشقُّ علينا وايمُ الحق ان نرى المقتطف يكتب حيناً بعد حين مقالات او فقرات في مسائل خطيرة يتحرّى فيها تأييد آراء الطبيعيين والماديين والدهريين . لان العالم اذا ضلّ يُضلّ معهُ كثيرين وسيؤدي حساباً مدققاً صارماً لله تعالى في يوم الدين عن كل ما كتب في المسائل التي لها علاقة شديدة مع الديانة

ومن ثم نطلب الى مراحمهِ تعالى ان يهدي اصحاب المقتطف لانهُ يمكنهم ان ينفعوا ويمكنهم ان يضروا كثيراً . ونرغب ان ينفعوا في مجلتهم ولا يضرّوا